اجتهادات
عن تاريخ المسيحية

مازالت دراسة تاريخ الأديان بطريقة علمية منهجية نادرة فى عالمنا العربى، وفى الشرق عموما. هذه دراسة غير مرحب بها، بل مستهجنة بسبب النزعة المحافظة المساندة فى المجتمع، وليس فقط لأن الكثير من رجال الأديان، أو أغلبيتهم الساحقة يعارضونها. ومن هنا، الأهمية الخاصة لدراسة د. فكرى أندراوس مكتبة نجع حمادى وسيرة المسيحية، التى صدرت فى كتاب عن دار الثقافة الجديدة قبل أيام، وتزامن إصدارها مع الاحتفال بأعياد الميلاد. تحتاج أى دراسة فى تاريخ الأديان شجاعة يمتلكها المؤلف فى قراءته تاريخ المسيحية، فى ضوء وثائق اكتُشف أقدمها قبل أكثر من قرن (1896)، وأحدثها عام 1978، ولكنها لم تُدرس طول هذه الفترة برغم أهميتها. وتركز الدراسة على الوثائق التى اكتشفت بمحض الصدفة عام 1945، وأُطلق عليها مكتبة نجع حمادى، نسبة إلى المكان الذى عُثر عليها به. وتسهم الدراسة فى التعريف بجوانب مهمة فى تاريخ المسيحية، وإلقاء الضوء على أبعاد تفيد فى زيادة المعرفة به فى العالم العربى، برغم أنها صارت معروفة فى الغرب.

ولأن هناك من يسيئون الظن بأى عمل علمى فى تاريخ الأديان، أو يحاولون تأويله بمنأى عن محتواه وهدفه، فقد صدر المؤلف كتابه بعبارة ترقى إلى مرتبة الحكمة لرئيس مدرسة اللاهوت بالإسكندرية عام 1990 كليمنضس السكندرى: (الدراسة أينما كان مصدرها عمل مقدس. والجهل

أسوأ من الخطيئة. والعلم والأديان مرتبطان). وتؤكد هذه الدراسة مجددا ضرورة التخلص من الهواجس التى تفرض على باحثين مؤهلين الإحجام عن دراسة تاريخ الأديان. فقد تأخرنا كثيرا فى فتح الأبواب أمام هذا الحقل المعرفى الخصب، وأصبح على من أغلقوها أن يدركوا أهمية تعويض ما فاتنا فيه، إذا كانوا مؤمنين حقا بالحاجة إلى رسائل الأديان الإنسانية والأخلاقية والروحانية، خاصة على صعيد العدل الذى يعنى فى هذا العصر ضمان حقوق الإنسان، والمحبة بما تعنيه من قبول الآخر واحترامه، والرحمة التى تحمل معنى وضع حد للتفاوت الاجتماعى وما يقترن به من ظلم، وليس مجرد البر والإحسان. كتاب مهم فى كل وقت، ولكن تحلو قراءته فى أعياد ولادة السيد المسيح عليه السلام.